جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الأفريقية

مجلة الدراسات الأفريقية

* رحلة حج منسا موسى ... قراءة جديدة في ضوء تأويلات الشكري
* الدوافع السياسية للحرب في مجتمع السودان الغربي
* بعض المناظر الصخرية ذات المدلول الديني في تاسيلي ناجر خلال مرحلة الرعي (٤٠٠٠ ق.م – ٢٠٠٠ق.م)
* شواهد المقبرة الملكية في زنجبار مصدرًا لتاريخ أسرة البوسعيد (١٨٤٣- ١٩٧٠)
* الحرب والذهنية في مجتمع السودان الغربي إبان القرنين ٩ - ١٠هـ / ١٥- ١٦م
* النزاع الفرنسي البريطاني حول إقليم وايما وتعيين حدود غينيا وسيراليون (١٨٩٣ – ١٩٠٣)
* تصوير الشعر الأمهري لموجات الجفاف والمجاعة في إثيوبيا
* عبارة السبب في اللغة السواحيلية «في ضوء منهج تحليل المكونات المباشرة»
* الهجرة الدولية الأفريقية
* أثر التغيرات المناخية على الأمن الغذائي في إقليم الساحل الأفريقي
* جرائم المخدرات في محافظة مطروح «دراسة جغرافية»
* مضيق باب المندب دراسة في الجغرافيا السياسية والجيوستراتيجية
* أهمية التمثيل الدبلوماسي في إدارة العلاقات الدولية (دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي والقانون الدولي العام)
* دور المجتمع المدني الأفريقي في الآلية الأفريقية لمراجعة النظراء
* دور قطاع النفط في تحقيق التنمية الاقتصادية
* مجتمع الفانتي والضوابط الاجتماعية في غانا «دراسة في الانثروبولوجيا الاجتماعية»
* واقع السياسات التعليمية في ماليزيا ومدى استفادة الجزائر من هذه التجربة

العـدد ٣٦
٢٠١٤

مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر

الدوافع السياسية للحرب في مجتمع السودان الغربي ٧٢٦- ١٠٠٠هـ / ١٣٢٥-١٥٩١م

بطل شعبان محمد غرياني(*)

مقدمة :

تتعدد دوافع الحرب بتعدد الحاجات والأطماع البشرية[١]، ولكن الحرب إذا كانت تعبر لدى بعض أطرافها عن عدوانية أو أطماع بشرية، فإنها تعبر عند أطرافها الأخرى عن الدفاع عن النفس ودفع الاعتداء على الأوطان[٢]. وحسبنا ابن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨هـ/١٤٠٦ م) في تحديد دوافع الحرب، التي تعد في نظره طبيعة في الناس، وضرورة يفرضها الواقع الذي يعيشون فيه، وأصل الحرب عند ابن خلدون، إرادة انتقام بعض البشر من بعض، « فإذا تذامروا لذلك، وتوافقت الطائفتان إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع عن نفسها كانت الحرب... وسبب هذا الانتقام إما غيرة ومنافسة وإما عدوان، وهو يكون بين الأمم الوحشية التي تسكن القفر، وإما غضب لله ودينه وهذا المسمى بالجهاد في الشريعة، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده «[٣]. وبهذا فقد جعل ابن خلدون من الظروف التي تحيط بالدول والمجتمعات دافعًا للحروب، التي تسعى لتحقيق متطلبات هذه الدول سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، ودينيًا.

تحركت الحروب التي شهدتها بلاد السودان الغربي ولاسيما في مملكتي مالي Mali وصنغي Songhay خلال الفترة ما بين عامي ٧٢٦-١٠٠٠هـ/١٣٢٥-١٥٩١م، وراء عدة دوافع، أولها دوافع سياسية، وثانيها اقتصادية، وثالثها دينية،

(*) مدرس مساعد بقسم التاريخ (تاريخ إسلامي)، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة.

وتأتي الدوافع السياسية من وجهة نظر الباحث على رأس الدوافع التي دفعت عجلة الحرب مرارًا وتكرارًا في السودان الغربي، نتيجة طموحات الملوك السودانيين، فضلاً عن الظروف السياسية التي مرت بها الممالك السودانية، وفرضت عليها الحرب أحيانًا، وسوف تتناول هذه الورقة البحثية الدوافع السياسية للحرب في العناصر التالية:

أولاً - الحرب وتوسيع حدود الممالك السودانية وفرض هيبتها:

١ - الحرب وتوسيع حدود مملكة مالي وفرض هيبتها.

٢ - الحرب وتوسيع حدود مملكة صنغي وفرض هيبتها.

ثانيًا - الحرب وقمع الثورات والتصدي للطامعين والخارجين على نظام الحكم.

ثالثًا – الحرب والتخلص من بعض القبائل غير المرغوب فيها.

أولاً- الحرب وتوسيع حدود الممالك السودانية وفرض هيبتها:

لم يكن الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية أمرًا مستحدثًا، فلقد اهتمت الإدارة العسكرية الإسلامية منذ عهد النبوة بحدود الدولة وأمرت بالرباط بها والقيام عليها؛ بهدف المرابطة في نحور العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها من دخول الأعداء إلى بلاد المسلمين والتعدي عليها(٤).

بديهي أن تلعب الحرب دورًا مهمًا في فرض هيبة الممالك السودانية وإقرار نفوذها، فلقد كانت الحرب سببًا في قيام الممالك الكبرى في المنطقة، ولذلك أصاب المؤرخ والباحث الاجتماعي الأمريكي تشارلز تيللي Charles Tilly حينما ذهب إلى أن " الحرب تصنع الدولة، والدولة تصنع الحرب "، وهو نفس المعنى الذي ذهب إليه جمبلوويز Gumplowiez بأن الأصل في قيام الدول هو اجتماع الجماعات المنتصرة بالجماعات الخاضعة، وفيه تصبح الجماعات المنتصرة هي الهيئة الحاكمة المتميزة، وأن الأصل في القانون أنه مجموعة القواعد التي تمليها الجماعة الحاكمة لتسيطر على الجماعة الخاضعة وتستغلها(٥).

من جانبه، حاول فيج Fage فلسفة أسباب قيام الممالك في السودان الغربي ثم اتساعها، ثم اضمحلالها، وهو يرى أن هذه الممالك اعتمدت في تكوينها على قوات من الخيالة أو الأبالة، مما ساعدها على سرعة الانتشار في منطقة السفانا الممتدة من الشرق إلى الغرب، وكان نفوذها يصل إلى منطقة الغابات ثم يتوقف، لأنه لم يكن بمقدور الخيل أو الإبل اختراق هذا النطاق. وكانت الشعوب التي أخضعت بالقوة تدين بالولاء والطاعة للمملكة التي نجحت في إخضاعها، وكانت في الوقت نفسه تحتفظ بتقاليدها المحلية ولغاتها، لأن المنتصرين لم يكن يعنيهم إلا مجرد دفع الجزية المقررة وإعلان الخضوع والطاعة، ولهذا لم تنجح أيًا من ممالك السودان الغربي في تكوين أمة موحدة السمات؛ لذا فإن هذه الممالك كانت تبقى أو يطول حكمها إذا استطاعت الاحتفاظ بجهازها العسكري فعالاً قويًا، لكن ثمار النصر وتكدس الأموال، والإغراق في الترف، كان يضعف هذه الروح العسكرية، هذا فضلاً عن أن زواج المنتصرين من أهل البلاد المغلوبة، أضعف فيهم روح العصبية، وسرعان ما كانت هذه الممالك تتعرض لغارات جديدة من البربر، أو غارات أخرى لشعب سوداني فتي يروم القيام بنفس الدور(٦).

يشير صاحب مخطوطة « بعض أخبار هذه البلاد السودانية « إلى حالة التنافس بين ملوك بلدان السودان الغربي من أجل السيطرة على معظم الممالك والإمارات بهذه البلاد، وقد قسم صاحب المخطوطة بلاد السودان الغربي إلى ثلاثة أقسام: عوالي، وتشمل بلاد برنو Borno، وبلاد آير Air(٧)، وبلاد زبرم Zerma، وبلاد صنغي، ووسائط، وتشمل بلاد الهوسا Hausa(٨)، وبلاد بَنْدَ Band، وسوافل، وتشمل بلاد بَايْيَاي Baibai. وأشار إلى أن أيًا من هذه الممالك لم تستطع فرض سيطرة كلية على مختلف الممالك المحيطة بها، فسلطنة برنو ملكت الوسائط وبعض السوافل، ولكنها لم تنجح في السيطرة على بلاد آير، وزبرم، وصنغي. وقد نجحت مملكة صنغي في فرض سيطرتها على كثير من ممالك السودان الغربي، واستطاعت توسيع حدودها لأقصى حدٍ وصلت إليه في عهد الأسكيا الحاج محمد الكبير، فقد

نجح في بسط سيطرته على العوالي كلها باستثناء مملكة برنو، وملك أقطارًا من الوسائط وبعض السوافل، وملك بلاد آير كلها[٩].

ومن هنا نستنتج أن ممالك السودان الغربي خلال فترة دراستنا كانت في حالة حرب مستمرة بحسب ما تأنسه هذه الممالك في نفسها من قوة، وفي غيرها من ضعف، فأصبح الأمر بمثابة صراع عنيف من أجل الهيمنة وفرض النفوذ وتوسيع الحدود، فالمملكة السودانية كانت إذا حققت قدرًا من القوة والمنعة لم تكتف بمجرد تأمين حدودها بل كانت تسعى لاختبار قوتها بالدخول في حروب مع جيرانها باعتباره سبيلاً مهمًا لتحقيق أمن حدودها وردع جيرانها بالتوسع في ممتلكاتهم. وسوف يتتبع الباحث حالة التدافع والصراع بين الممالك السودانية والحروب التي قامت بين هذه الممالك بهدف توسيع الحدود وإقرار النفوذ وفرض الهيبة خلال فترة الدراسة.

١- الحرب وتوسيع حدود مملكة مالي وفرض هيبتها:

سعى منسا موسى Mansa Mussa (٧١٢-٧٣٧هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) ملك مالي إلى توسيع حدود مملكته، كي يفرض هيمنته على بقاع واسعة من بلاد السودان الغربي، وبدلاً من بدء التوسع من ناحية الشرق كما كان متوقعًا حيث كانت هذه الجهة موطنًا لقبائل الموشي Mooshi[١٠] وقبائل الطوارق Tuaregs، التي اعتادت الهجوم على المملكة، فإنه بدأ التوسع من الجهة الغربية، حيث فضل أن يبدأ بغزو ممتلكات مملكة غانة Ghana فاستولى على بعض المدن المهمة، مثل ولاتة Walata، ثم ميمة Mema[١١]. وهو الأمر الذي يعني أن سياسة توسيع حدود المملكة كانت مقدمة عند منسا موسى على سياسة ردع القبائل التي كانت تهدد نفوذ المملكة.

ولعل ما يؤكد هذه السياسة التوسعية أنه بينما كان منسا موسى في رحلته للحج عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م، واصلت جيوشه الأنشطة التوسعية، وقبل أن يكمل سفر العودة سمع هذا المنسا أن مدينة جاو Gaw عاصمة صنغي سقطت بيد أحد قادته ويدعى سقمنجة Saqmqnga، وهي المرة الثالثة التي نجحت فيها مالي في إخضاع صنغي[١٢]، واستطاعت الرواية الشفوية التي جمعها جون روش Jean Rouch

أن تحدد زمن غزو مالي لصنغي بعام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م[١٣] في عهد زوا أسيباي Zuwa Assibai[١٤].

وعندما سمع منسا موسى بنبأ سيطرة جيشه على جاو، حول خط رحلة عودته من الحج ليتجه نحو هذه المدينة؛ لكي يعاين بنفسه خضوع ملك صنغي بصفة شخصية. ولكي يضمن إخلاص تابعه الجديد أخذ معه إلى مالي اثنين من أبناء حاكم صنغي رهائن، وهما على كولن وسليمان نار، وبالفعل حمل منسا موسى نجلي حاكم صنغي معه إلى مالي[١٥].

كانت السيطرة على مملكة صنغي مهمة للغاية بالنسبة لمالي، بفضل الموقع الجغرافي المتميز لصنغي والتي تقع على ضفة نهر النيجر، وامتدت على طول الجزء المتوسط من هذا النهر لمسافة ألف ميل تقريبًا باتجاه مجرى النهر من حدود مالي، فضلاً عن الأهمية التجارية التي تمتعت بها فقد كانت محطة مهمة على طرق التجارة عبر الصحراء[١٦]، مما يعني أن توسيع حدود مملكة مالي في هذه المنطقة كان مكسبًا مهمًا[١٧]، وهو الأمر الذي يفسر الصراع الشديد بين منسا موسى وملك الموشي من أجل السيطرة على جاو[١٨].

وبالنظر إلى حروب مالي التوسعية في عهد منسا موسى نستنتج أن هذه الحروب والتوسعات تركزت على ما تبقى من أملاك غانة في بلاد التكرور Takrur، بالإضافة إلى السيطرة على مملكة صنغي الناشئة[١٩] بهدف إقرار هيبة مملكته وتوسيع حدودها على حساب الممالك المهمة، ولما توفي منسا موسى عام ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م ترك مملكة امتدت من تكرور غربًا على المحيط الأطلنطي إلى منطقة دندي Dendi ومناجم النحاس في تكدة Takedda (مركز القوافل) شرقًا، ومن مناجم الملح في تغازة Teghazza في الصحراء شمالاً إلى مناجم الذهب في ونقارة Wangara جنوبًا، وحازت حدودها الجنوبية منطقة الغابات الاستوائية[٢٠]؛ ولذلك تحدث كعت عن منسا موسى قائلاً إنه « ملك من منتهى مِلِّ (مالي) إلى سبردك، وأطاعه جميع من فيها من سغي وغيرها »[٢١].

أضحت مملكة مالي نتيجة لحروب منسا موسى مرهوبة الجانب تسيطر على بقاع شاسعة جغرافيًا وغنية اقتصاديًا، وبهذا منحت الحرب للمملكة عوامل القوة والازدهار في مرحلة مهمة من تاريخها بفضل توسعات هذا المنسا[٢٢]. بيد أن هذه القوة والازدهار الذي حققته هذه المملكة في عهد منسا موسى لم تلبث أن تبدلت إلى حالة من الضعف والفتور، فقد انشغل خلفاء منسا موسى بتحصيل ثمرات الملك، وتدهورت تبعًا لذلك أوضاع المملكة نتيجة إسراف خلفاء موسى وعجزهم وضعفهم، فقد انتقل العرش بعد هذا المنسا إلى ابنه منسا مغا Mansa Maghan (٧٣٨- ٧٤٢هـ/ ١٣٣٧-١٣٤١م)[٢٣] الذي سمح خلال أربع سنوات من حكمه أن يتعرض ميراثه القوي والشاسع إلى نكستين كبيرتين كان لهما أثرًا بالغًا على حياة المملكة، فبعد زمن يسير من توليه السلطة قامت قبائل الموشى بالإغارة على تنبكت Timbuktu، وإحراقها بعد أن قضت على حامية هذه المدينة من قبائل الماندنجو Mandingo، أما الحادثة الثانية فكانت فرار أميري جاو الرهينين لدى حاكم مالي، حيث استطاع على كولن Ali Kolon وسليمان نار Sylaiman Nar الهروب إلى جاو عاصمة صنغي، واستردادها من الماندنجو، وأعلن علي كولن نفسه ملكًا على صنغي، ليبدأ سلسلة حملات لتحرير صنغي من قبضة مالي، بل وتبدأ صنغي في شن سلسلة من الحروب التوسعية[٢٤]. وعلى هذا فإن تراخي قبضة خلفاء منسا موسى على مملكة بنت قوتها على التوسع والغزو، كان سببًا في طمع المحيطين بالمملكة والتجرؤ على حدودها ومهاجمة مدنها وأملاكها، وهو الأمر الذي يؤكد أهمية الحرب والقوة العسكرية في فرض نفوذ مملكة مالي في عهد ملوكها الأقوياء.

تولى منسا سليمان بن أبي بكر Mansa Sylaiman Ben Abi Bakr (٧٤٢-٧٦١هـ/١٣٤١-١٣٦٠م) الحكم بعد منسا مغا بن منسا موسى (مغا الأول)، وقد بذل سليمان جهدًا كبيرًا لإصلاح ما أفسده ابن أخيه، وبالرغم من إخفاقه في استرداد جاو، إلا أنه أعاد السيطرة على معظم الأقاليم التي فقدتها مالي[٢٥]؛ وأرغم العديد من المجتمعات في إقليم السودان الغربي على الاعتراف بسيادته[٢٦]، واجتمع

له ما كان أخوه منسا موسى قد افتتحه من بلاد السودان[٢٧]، واستكمل منسا سليمان سياسة أخيه منسا موسى في شن مزيد من الحروب التي أسهمت في توسيع حدود المملكة، فقد أشار ابن بطوطة (المتوفى عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) الذي زار مالي في عهد منسا سليمان إلى أن مدينتي كابرة Kabara وزاغة Zagha لهما سلطانان يذعنان بالطاعة لملك مالي[٢٨].

وبهذا وضع ملوك مالي أمام أعينهم سياسة الحرب وتوسعة حدود مملكتهم على رأس أولوياتهم، وأعطوا أهمية خاصة لحماية حدود مالي وفرض هيبتها؛ ولهذا كانت في عهد منسا سليمان قادرة على استنفار جيش قدره مائة ألف، «منهم عشر آلاف فارس، وفرسان خيالة وسائرهم مشاة»[٢٩]. ويضيف السعيدي (المتوفى عام ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) إنه كان لملك مالي « قائدان واحد منهما صاحب اليمين يسمى سنقرزومع والآخر صاحب الشمال يسمى فرن سرا وتحت طاعة كل واحد منهما كذا وكذا من القياد والجيش «[٣٠]؛ ولذلك بلغت مالي أوج عظمتها وذروة مجدها خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي بعدما اتسعت حدودها لتغطي جل مناطق بلاد السودان الغربي.

وبعد الانتعاشة التي حققها منسا سليمان للمملكة، عاد الضعف ليصيبها من جديد بعد وفاة هذا المنسا، فقد وصل إلى الحكم ملوك ضعاف، منهم منسا قسا بن منسا سليمان Mansa Qasa الذي حكم تسعة أشهر فقط عام ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م[٣١]، ثم جاء بعده ابنه ماري جاطة الثاني Mari Djata II (٧٦١- ٧٧٥هـ/ ١٣٦٠- ١٣٧٤م)، وقد ضعفت المملكة في عهده، " وأفسد ملكهم وأتلف ذخيرتهم، وكاد أن ينتقص شأن سلطانهم "[٣٢]. ونتيجة لهذا الضعف الذي أخذ ينخر في جسد المملكة ويفت في عضدها، أصبح ميراث عرش المملكة ثقيلاً على منسا موسى الثاني بن ماري جاطة الثاني (٧٧٥- ٧٨٩هـ/ ١٣٧٤- ١٣٨٨م) الذي حاول إصلاح ما أفسده أبيه، لكن السلطة الحقيقية كانت بيد وزيره القوي ماري جاطة، الذي كان هو المسئول عن تجهيز العساكر والكتائب، وقاد حملات تأديبية ضد القبائل والسلطنات

المتاخمة للمملكة من جهة الشرق، وتجاوز حدود جاو عاصمة صنغي، وبهذا أعيدت للمملكة هيبتها في عهد منسا موسى الثاني بفضل كفاءة وزيره ماري جاطة الذي قام بعدد من الحملات التأديبية والتوسعية الناجحة. ثم ما لبثت المملكة أن عانت من مرحلة جديدة من الضعف والتراجع بعد أن شهدت صراعًا على السلطة، وفي ظل هذه الحالة وصل منسا مغا الثاني إلى الحكم بعد أخيه منسا موسى الثاني عام ٧٨٩هـ/ ١٣٨٨م، وقتل بعد عام واحد من وصوله لحكم المملكة، ثم وثب على السلطة الوزير صندكي Sandaki (٧٩١- ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩-١٣٩٠م)، ثم استولى على السلطة بالقوة منسا مغا الثالث (٧٩٢هـ / ١٣٩٠م)[٣٣]. وفي ظل هذه الظروف أخذت القبائل والإمارات التي أخضعت بالقوة تغير على حدود المملكة منتهزة حالة الضعف التي أصابتها.

وهكذا كانت الحرب مؤثرة في وجود مالي وكان لها الأثر نفسه في أفول نجمها وتراجع دورها كقوة سياسية بارزة، فمع مستهل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بدأ الضعف يدب في جسم المملكة، وأمام هجمات الطوارق والموشى بموازاة مع توسعات الصنغيين؛ اضطرت مالي للانكماش على نفسها في المنطقة التي انطلقت منها عند بداية أمرها، وبذلك تركت المجال لملوك صنغي كي يمهدوا بلاد السودان ويقيموا مملكتهم على أنقاض مالي خلال الربع الأخير من القرن نفسه[٣٤]. وإذا كانت الحروب التوسعية قد وصلت بمملكة مالي إلى هذه الحالة، فماذا فعلت الحروب التوسعية بمملكة صنغي ؟

٢ - الحرب وتوسيع حدود مملكة صنغي وفرض هيبتها:

يشعر المتتبع للتاريخ الحربي للممالك السودانية وكأن التاريخ يعيد نفسه، فقد وجدت مالي نفسها مضطرة للدفاع عن وجودها بسبب تسلط قبائل الصوصو Sosso على ممتلكاتها، وصنعت هذه الظروف من مملكة مالي قوة سعت نحو إثبات ذاتها عبر سلسلة من الحروب منحتها القوة والازدهار لفترة من الزمن، ثم

ما لبثت أن اضمحلت قوتها التي رسخت بقوة السيف وحده. وبالمثل كانت ظروف تسلط مالي على مملكة صنغي الناشئة، قد جعلت الأخيرة تجنح بدورها نحو اتباع الأسلوب نفسه - أسلوب الغزو والتوسع - كي تقضي على تسلط مملكة مالي، ثم تبني لنفسها مجدًا عريضًا بفضل فتوحاتها وتوسعاتها على حساب الجيران، وأدت بها الحرب في نهاية المطاف إلى النتيجة نفسها التي تلازم أي مملكة بنت قوتها على القوة الحربية من انهيار وزوال للنفوذ.

ووفقًا لهذه الظروف التي مرت بها مملكة صنغي، بدأت تشق عصا الطاعة على ملوك مالي بعد وفاة منسا موسى عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م حتى تحررت نهائيًا من سيطرة مالي وبدأت في بناء قوتها العسكرية، حتى إن سنى محمد داع Sunni Mohammed Daao – الملك العاشر في سلسلة ملوك أسرة سنى – حاكم صنغي استطاع حوالي سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م أن يخرب معظم بلاد مالي وخاصة عاصمتها وأن يأسر الكثير من عبيدها[٣٥]. ووفقًا للظروف التي مرت بها صنغي أيضًا، فإن سنى علي Sunni Ali (٨٦٩ – ٨٩٨هـ / ١٤٦٤ – ١٤٩٢م) حول صنغي من إمارة صغيرة إلى مملكة كبيرة، أقامها بحد السيف، وأراد في الوقت ذاته أن يحتفظ بها ضد من يعاديه أو يعادي سياسته بالأسلوب نفسه[٣٦].

ففي أول سلطنته خرج لمحاربة ملك الموشي المدعو كُمْدَاعُ Komdau، والتقى الجيشان في كُبِ Kebbi، وانتصر سني علي، وطارد ملك الموشي حتى أدخله دار مملكته المسمى أَرْقُمَ. ثم وجه حملاته إلى المدن والأقاليم التابعة لمملكة مالي، فحارب مدينة كُونْغَ Kongh، وقتل حاكمها المدعو بِسْمَ Bessm، ثم غزا مدينة دَاعَ Daa، وقتل حاكمها مُودِبُّ وَاز Modeb Waza، ثم حارب بعد ذلك أهل تُنْدِ Tundi، ثم أرسل سني علي حملة بقيادة أسكيا بَغَنْ Askia Bagna لمحاربة منطقة تُسْكُ Tosku عام ٨٩٣ه/ ١٤٨٨م، لكن حاكمها قاوم جيش بغن بل وتمكن من قتله؛ الأمر الذي اضطر سني علي للذهاب بنفسه إلى تسك وحارب حاكمها وانتصر عليه[٣٧].

وبعد هذه الحملات التوسعية لسني علي في مملكة مالي، اتجه نحو ملك الموشي المسمى نعسر Naaser، وحاربه في دار مملكته في مدينة بَرْكُنَ Barkon. وبعد انتهائه من الحرب في بلاد الموشي، عاد سني علي ليهاجم أملاك مالي من جديد، ويوسع حدود مملكته باتجاهها، فقاتل أهلها، ثم وجه غزوة كبيرة بقيادة هَيْكُيْ تَعْتَ HiKoi Taat، وأمره بقتال ملك يَعْمَعَ Yaama فقتله، ثم رجع بالجيش إلى سني علي، فارتحل به إلى منطقة كِكِرِ Kiker، وأسر حاكمها منذكُنْتِ Mondi Kont، ثم عاد وقاتل أهل مالي مرتين، ثم حارب أهل تُنْدِ Tundi، ثم خرج إلى مدينة سِيلَ Siel، وقتل حاكمها سِيلَكُيْ[٣٨]. وبهذا فرض سني علي بالقوة ملك الصنغي على من جاورها، والراجح أن تكرار مسألة قتل حاكم المدينة أو الإقليم المقصود بالغزو في جل الغزوات التي جردها سني علي يشير إلى الرغبة في فرض هيبة المملكة، وفرض الطاعة الجبرية على حكام المدن والأقاليم المتاخمة لها، وضمان عدم خروجهم على ملك صنغي، وإلا فسيكون مصيرهم القتل.

لم يكتف سني علي بحملاته التوسعية لفرض سيطرته على الأقاليم المجاورة لمملكته، بل قام بفرض سيطرته على مدن عززت سيادة صنغي سياسيًا واقتصاديًا، فاستولى على مدينة جني Jenni في عام ٨٦٩هـ/١٤٦٤م[٣٩]، ثم سيطر على مدينة تنبكت عام ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م[٤٠]. وخلال عام ٨٩٨هـ/١٤٩٢م نجح سني علي في غزو سلطنة كرم Kerm[٤١]. وقد أشارت المصادر السودانية إلى جهود سني علي العسكرية، وذكرت أن سنوات حكمه لم تخل من الغزوات المستمرة، حيث « فرغ أيامه في الغزوات «[٤٢]، وبهذه الغزوات طوع الجميع بالقهر والسيف، واشتغل بالغزوات، وفتح كثيرًا من البلاد[٤٣].

أعانت الحملات الحربية التي قادها سني علي بنفسه طيلة حكمه في فرض قوة مملكته وإقرار نفوذها، وتأديب المعتدين على حدودها وأملاكها، واتبع سياسة أن يبدأ هو بالهجوم ويستولي على أملاك هذه القبائل، ويوسع حدوده، وبهذه السياسة أنقذ مملكته من آثار الخراب التي ارتبطت بالحروب والغارات التي لم تهدأ في

فترة ضعف مالي وأفولها، وأخذت صنغي هي الأخرى تبحث عن سبل لفرض هيمنتها وسيطرتها على المنطقة، فما كان لها من سبيل إلا بالسيطرة على أملاك مالي، وقيادة العديد من الحروب ضدها، وهو الأمر الذي جعل الأسكيا محمد الأول Askia Mohammed (٨٩٨-٩٣٥هـ /١٤٩٣- ١٥٢٩م) يواصل تجريد الحملات ضد مالي[٤٤] حيث أطلق هذا الأسكيا سلسلة من الحملات الحربية كان هدفها الأول هو توسيع حدود المملكة[٤٥].

اتبع الأسكيا محمد الأول سياسة سني علي في التوسع ومد حدود مملكته إلى أقصى مدى، فإذا عرضنا لحروب الأسكيا محمد الأول التوسعية، نلاحظ أنه بدأ غزواته غربًا، ففي أواخر عام ٨٩٩هـ/١٤٩٢م أخذ أسكيا محمد إقليم زاغ على يد أخيه عمر كمزاغ Umar Komdau وقاتل صاحبها المسمى بُكَرْمَغَ Bukr Magha. وفي عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م قاد الأسكيا محمد الأول غزوة بنفسه ضد نعسر ملك الموشي وحقق فيها الانتصار[٤٦]. ثم قاد حملة أخرى عام ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م إلى إقليم بغن Bagana في تندرم وأسر حاكمه بغن فاري عثمان. وفي عام ٩٠٦ه/ ١٥٠٠م غزا آير Air وأخرج المدعو تلظ Talz من سلطنته[٤٧]. وفي عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م أرسل حملة بقيادة أخيه عمر كمزاغ إلى إقليم زلن Zillen الذي كان تابعًا لمملكة مالي، فامتنع ملكها المدعو قام فَتِي قِلِّي Qam Fati Qulli على جيش صنغي؛ فطلب عمر كمزاغ العون من الأسكيا محمد الذي جاء بنفسه لإخضاع إقليم زلن، ونزل في بلدة تِنْفِرْن Tenfirn بالقرب من زلن في جهة المشرق، وقاتل حاكمها وهزمه[٤٨]، وهو ما يوضح حرص الأسكيا محمد على توسيع حدود مملكته وإقرار نفوذها، ومما يؤكد هذا أنه كان يقود الحروب بنفسه. لذلك سجلت المصادر السودانية غزوات الأسكيا محمد وحروبه التوسعية بكل دقة، وقد أشارت إلى أن هذا الأسكيا لم يغز في أعوام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م، ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، ٩١٠هـ/١٥٠٤م، ٩١٢هـ/١٥٠٦م[٤٩].

واصل الأسكيا محمد حروبه التوسعية على حساب أملاك مالي في عام ٩١١هـ/١٥٠٥م، حيث قاد حملة بنفسه ضد إقليم بَرْكُ أو بربو Borgu[٥٠]. وفي عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م غزا إقليم كلنبوت Klanbot التابع لمملكة مالي، ثم أرسل حملة أخرى

إلى أرض بغن في تندرم Tendirma عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م[٥١]. وفي عام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م غزا المدعو تنيض Tanid ملك فوت Fota في جنوب غرب المملكة[٥٢].

وبالإضافة إلى توسع الأسكيا محمد على حساب ممتلكات مالي، كان من أبرز حروبه التوسعية تلك الحروب التي جردها ضد إمارات الهوسا Hausa، ففي أواخر عام ٩١٩هـ/ ١٥١٣م قاد حملة بنفسه ضد ملك كشن أو كاتسينا Katsina[٥٣]، ورجع منها في عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م[٥٤]. وإذا كانت هذه الحملة لم تنجح في فرض نفوذ فعلي لصنغي في بلاد الهوسا إلا أنها استولت على بعض الغنائم، وكشفت عن السياسة التوسعية للأسكيا محمد الأول.

وتعددت حملات الأسكيا محمد ففي أواخر عام ٩٢١هـ/١٥١٥م قاد حملة ضد ملك آير Air في مدينة أقدز Aghadez المجاورة لبلاد الهوسا، ورجع منها عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م. وقاد معركة ضد سلطنة كنت Kanta عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م ولكنها لم تحقق أي نتيجة. وفي عام ٩٢٤هـ/١٥١٨م جرد الأسكيا نفسه حملة أخرى بقيادة أخيه عمر كمزاغ، لغزو زلن التابعة لملك مالي، وانتصر عليه عمر كمزاغ وقتله[٥٥].

وهكذا استطاعت صنغي في ذروة توسعاتها في عهد الأسكيا محمد الأول أن تضم مجالات الموشي[٥٦]، والطوارق، وممتلكات مملكة مالي، وامتدت حتى حدود منطقة الغابات، واستطاع الأسكيا محمد أن يمد حدود مملكته من شواطئ بحيرة تشاد في الشرق إلى المحيط الأطلسي في الغرب، وأعاد سلطة بلاده إلى الحدود القصوى شمالاً عند مناجم الملح في تغازة Teghazza وسط الصحراء والحدود الشمالية الغربية التي كانت ضمن أملاك مالي، ومنها إلى شمال الغابات الكثيفة في الجنوب[٥٧]، أما في الشمال الشرقي فقد توسعت المملكة في أراضي سلطنة الآير. وفي حين كانت مملكة صنغي لم تتجاوز في الحقبة السابقة المناطق المحيطة بالنيجر الأوسط ومنحناه الأعلى رغم حروب سنى علي المتواصلة، نجد مملكة صنغي قد بلغت حدودها القصوى على أيام الأسكيا محمد الأول فوصلت إلى بلاد الموشى في الجنوب، ولامست الصحراء في الشمال[٥٨].

وبانقضاء عهد الأسكيا محمد الأول لم تعرف صنغي حروبًا توسعية ذات أثر، فقد انشغل ابنه الأسكيا موسى Askia Mussa (٩٣٥-٩٣٧هـ/ ١٥٢٨-١٥٣٠م)[٥٩] - الذي خلع أبيه من السلطة – بالصراع مع إخوته الذين كانوا يطمعون في اعتلاء عرش المملكة، ووقعت بينهم عدة مواجهات، كان أبرزها تلك الحرب التي وقعت عام ٩٣٦هـ/١٥٢٩م، وفيها استطاع موسى تحقيق النصر على إخوته[٦٠]. وللسبب نفسه انشغل الأسكيا محمد بنكن Askia Mohammed Bunkan أو مُرْبُنْكَنْ - الذي حكم سنة ٩٣٧هـ/١٥٣١م- عن الغزو والتوسع، حيث انغمس في الصراع مع أبناء عمه الأسكيا محمد الذين رأوا أحقيتهم في ميراث عرش أبيهم، ولذلك لم يغز سوى غزوتين فقط حيث خاض حربًا ضد سلطنة كنت في منطقة ونترماس Wantermas بعد توليه السلطة مباشرة عام ٩٣٧هـ/ ١٥٣١م لكن مني جيش صنغي بالهزيمة في هذه الحرب. وفي آخر أيام مربنكن خاض غزوة أخرى ضد سلطنة كرم[٦١]. والراجح أن سبب قلة عدد غزوات هذا الأسكيا هو انشغاله بالحرب ضد أبناء الأسرة الحاكمة المناوئين له في السلطة، حتى استطاع إسماعيل بن الأسكيا محمد عزل مربنكن، وأعلن نفسه أسكيا عام ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م[٦٢].

لم يكن وصول الأسكيا إسماعيل Askia Ismail(٩٤٣-٩٤٦هـ/١٥٣٧-١٥٣٩م) إلى السلطة إيذانًا بانتهاء الصراع على السلطة وتعافي المملكة، واستئناف سياسة الغزو والتوسع من جديد، فقد انشغل إسماعيل بالصراع على السلطة مع إخوته، ولذلك لم تسجل له المصادر سوى غزوتين واحدة أرسلها إلى إقليم دِيرَ Dera التابع لمملكة مالي لم يحدد كعت تاريخها[٦٣]، وأخرى أوردها السعيدي ضد إقليم بكبول Bekbol في أرض سلطنة كرم عام ٩٤٦هـ/ ١٥٣٥م بقيادة كرمن فار هماد بن أريو Kurminfar Hamad Ben Aru[٦٤]. وظلت صراعات السلطة حائلة دون توسعات ملوك صنغي، حيث واجه الأسكيا إسحاق الأول Askia Ishaq I (٩٤٦-٩٥٦هـ/١٥٣٩-١٥٤٩م) صراعًا جديدًا على السلطة انتهى بعزله على يد أخيه محمد كاغ Mohammed Kagh؛ ولهذا لم يشهد عهده الذي امتد لعشر سنوات

سوى غزوتين فقط، واحدة ضد مدينة تَعْبَ Taaba عام ٩٤٦هـ/١٥٣٩م[٦٥] وهي آخر بلاد ملوك بِنْدُكُ Benduku. ثم أرسل غزوة أخرى بقيادة كرمن فار داوود Kurminfar Daud إلى ملك مالي عام ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م[٦٦].

وبوصول الأسكيا داوود Askia Daud (٩٥٦-٩٩٠هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م) إلى السلطة استعادت المملكة كثيرًا من هيبتها المفقودة من جديد، حيث وجه داوود عدة حملات ناجحة، ففي عام ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م غزا سلطنة الموشي. وفي أواخر عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م غزا سلطنة تَعَ Taa في أرض بغن Bagana، وفي عام ٩٥٩هـ/١٥٥٢م وجه حملة ضد سلطنة كبي[٦٧]، وأخرى ضد إمارة كاتسينا في بلاد الهوسا عام ٩٦١هـ/١٥٥٣م لكنها منيت بالهزيمة. وفي عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م غزا أرض بُصَ Bossa. وفي عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م غزا إقليم سُوم Soom في أرض مالي. ثم غزا الموشي مرة أخرى عام ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م، ووجه حملة ضد بَرْكُ عام ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م، وأخرى ضد مالي حيث وصل إلى سور بَنْتَنْبَا Bantanba التابعة لمملكة مالي عام ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م[٦٨]، وفي هذا العام أيضًا غزا سلطنة كرم، وأرسل كرمن فاري يعقوب Kurminfar Yaqub لغزو أرض دَعَ Daa. ثم شن حربًا ضد أهل جبل دُمْ Dom عام ٩٨٦هـ/١٥٧٨م بقيادة هك كري كري ياسي Hak KuriKuri Yasi[٦٩]. وبهذا تجددت الحملات العسكرية على جميع حدود المملكة في عهد هذا الأسكيا كان هدفها الأول توسيع نطاق ملكه ونفوذه[٧٠].

وبانقضاء عهد الأسكيا داوود، أطل الصراع على السلطة برأسه من جديد، وبعد أن تغنت المصادر السودانية بالغزوات واحدة تلو الأخرى، لم تجد من الغزوات ما تسطيع تدوينه بعد عهد الأسكيا داوود، باستثناء غزو الأسكيا الحاج محمد بن داوود Askia Alhajj Mohamed Ben Daud (٩٩٠-٩٩٥هـ/١٥٨٢-١٥٨٦م) لأهل وكد Wakad عام ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، وقتل حاكمها فرن وكد[٧١].

لقد أخذت المصادر السودانية تتابع الصراع على السلطة بين أبناء أسرة الأساكي بعد أن كانت ترصد توسعات المؤسسين الأوائل للمملكة، ولاسيما في عهود كل من سني علي، والأسكيا محمد الأول، وباستثناء عهد الأسكيا داوود، استحوذ الصراع على السلطة على اهتمام خلفاء الأسكيا محمد الأول، فقام محمد بان بن أسكيا داوود Mohammed Bani (٩٩٥-٩٩٦هـ/ ١٥٨٦-١٥٨٨م) على أخيه أسكيا الحاج محمد فعزله وتولى السلطة عام ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م، وانشغل محمد بان بالصراع مع أخويه بلمع محمد صادق Balma Mohammed Sadiq وكنفار صالح Kanfari Saleh حتى توفي أسكيا محمد بان عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م، فوصل إلى الحكم بعده أسكيا إسحاق الثاني Askia Ishaq II (٩٩٦-٩٩٩هـ/ ١٥٨٨-١٥٩١م) الذي دخل بدوره في صراع مع أخيه بلمع محمد صادق، ووقعت بينهما حرب شديدة. وبعد تخلصه من أخيه بلمع صادق لم يغز أسكيا إسحاق الثاني سوى مرتين هاجم فيهما سلطنة كُرْمَ، ثم فوجئ بعدها بقدوم الغزو المراكشي(٧٢).

فمثلما راود ملوك السودان أحلام توسعية، كانت لدى مولاي أحمد المنصور Mulay Ahmed El-Mansur الذهبي طموحات توسعية أكبر، فكان يهدف إلى إقامة مملكة كبرى في جنوبي الصحراء تحت سلطانه، فأرسل حملة عسكرية بقيادة جؤدر باشا Joader Pasha استطاعت القضاء على مملكة صنغي عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م، مستغلاً فترات الضعف والتفكك التي عانت منها المملكة في أواخر عهد الأساكي، إضافة إلى أن الأسلوب الحربي، والتنظيم العسكري كان سيئًا، وضعيفًا في مواجهة الجيش المغربي، هذا فضلاً عن أن استراتيجية الغزو والتوسع والحملات الجهادية التي أرسى دعائمها حكام المملكة الأول من الأساكي قد أصبحت بلا وجود قبيل الغزو السعدي(٧٣). وهو الأمر الذي يشير إلى أن المملكة عندما استطاعت فرض قوتها عن طريق الحرب كان ذلك سببًا في فرض هيبتها، وإقرار نفوذها، بينما سمحت فترات الضعف للمتربصين والطامعين في أملاك المملكة بتحقيق أهدافهم بنفس الأسلوب، وهو الحرب والغزو.

ورغم نشوة النصر والتوسع التي حظيت بها مملكة صنغي، إلا أن أضرار هذا التوسع لم تقف على الشعوب التي توسعت صنغي على حسابها فقط، وإنما عانت صنغي نفسها من تلك الأضرار، حيث إن شعوبًا أخضعت بالقوة لم يكن ينتظر منها سوى تحين كل فرصة للانقضاض على حدود من أخضعها، والانتقام منه[٧٤]، وهو الأمر الذي يفسر هجمات الموشي من مملكتهم، والطوارق من سلطنة آير، وكذلك هجمات ملك كبي من حين لآخر على حدود المملكة.

وبهذا كان هدف توسيع حدود المملكة السودانية وفرض قوتها ونفوذها على الممالك المجاورة من أهم أهداف الحرب في السودان الغربي، فعلى الرغم من الأثر السلبي للحرب، وأنها لم تكن الحل الأمثل لفض الاشتباك بين الممالك السودانية، إلا أنها كانت ضرورة فرضت نفسها على الملوك لحماية ممالكهم من المتربصين للانقضاض عليها، وإن كان الأمر تطلب وجود ملوك أقوياء وجيش منظم ومجهز باستمرار، ولما كان هذا من الصعوبة بمكان، كانت النتيجة أن المملكة السودانية التي جنت ثمار قوتها أصبحت تدفع الثمن أثناء مراحل الضعف التي عصفت بها. وبهذا مثل توسيع حدود الممالك السودانية وفرض هيبتها وإقرار نفوذها دافعًا قويًا لدى ملوك السودان الغربي، فكانت قوة هذه المملكة أو تلك تقاس بعدد ما تسيطر عليه من المدن والأقاليم والإمارات التي تخضع لنفوذها وتعترف بسلطانها، ولهذا أصبح تاريخ الممالك السودانية خلال فترة الدراسة يمثل سلسلة من الحروب التوسعية للممالك القوية، وأخرى دفاعية كان هدفها التخلص من تسلط الممالك الكبرى والخروج عن تلك الطاعة الجبرية، وهو الأمر الذي تسبب في ظهور دافع جديد للحرب، وهو قمع الثورات والتصدي للطامعين والخارجين على نظام الحكم، فما الذي حققته الحرب بالنسبة لذلكم الدافع بعد أن حققت مكاسب جمة فيما يخص فرض هيبة الممالك السودانية وتوسيع نطاق نفوذها باتساع الإمارات والأقاليم التي خضعت لسلطانها ؟

ثانيًا - الحرب وقمع الثورات والتصدي للطامعين والخارجين على نظام الحكم:

أدى اتساع مساحة المملكة السودانية إلى عدم وجود سيطرة قوية على كل أطرافها على الدوام، فأحيانًا كانت بعض المدن تخرج عن الطاعة، الأمر الذي كان يستدعي تجريد الحملات لرد مثل هذه المدن الخارجة عن طاعة المملكة إلى سيادتها، فقد قام منسا موسى بشن حرب على مجموعة من رماة السهام الماهرين وهم جماعات البدو الرحل في شمال مالي الذين ركبوا الخيول واستخدموا أسلحة من السيوف والرماح وكانوا يثيرون الاضطرابات والقلاقل بالنسبة لمالي(٧٥). كما كانت هناك مدينة كياك Kaiak التي كان يحكمها أمراء وعبيد تابعين لمنسا موسى، وخرج أهلها عن طاعة ذلك المنسا، وتحدى ملوكها الذين عرفوا " بأولاد جاور " سلطة منسا موسى، وقويت سلطتهم واتسع نفوذها، نتيجة قوة جيشها، فاستطاعوا التغلب على من جاورهم في بعض المواجهات الحربية، وكانوا يخرجون للقتال فيما يزيد عن ألفين من الفرسان، وهو الأمر الذي جعل منسا موسى يتجه لمحاربتهم إلا أنهم استعصوا عليه(٧٦).

أيضًا خرجت أرض ميم Mema عن سيطرة مالي، حيث كان أهل ميم في ملك عظيم وقوة قاهرة، وكان في هذه المملكة اثني عشر ملكًا على رأسهم ملك يدعى مِيمَ فُنُ Mema Funu، وقد جرأهم قوتهم على تحدي سلطان مالي بعد وفاة منسا موسى عام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م؛ ولذلك فعندما استعادت صنغي استقلالها وتحررت من سيطرة مالي، استطاع فيما بعد أحد ملوك صنغي من أسرة آل سني، وهو سنى سليمان دام Sunni Sylaiman Dama، أن يتغلب على أهل ميم ويفسد ملكهم حتى لا يعطيهم فرصة للخروج عن طاعة صنغي(٧٧).

وخرجت مدينة تنبكت بقيادة حاكمها « عمر محمد نض» Umar Mohammed Nad على حكم صنغي في عهد سني علي، فقد ثار حاكم هذه المدينة، رافضاً السيادة الصنغية على مدينة تنبكت، الأمر الذي دفع سني علي لشن هجوم على حاكم

المدينة وأهلها سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، ونكل بأهلها[٧٨]، وبذلك انتزع تنبكت من يد الطوارق[٧٩] الذين كانوا قد استولوا على تنبكت منذ عام ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، فضلاً عن أنهم دأبوا على الهجوم على حدود المملكة، وبهذا استطاع تخليص مملكته من الخطر المباشر الذي طالما هددها، وطرد الطوارق بعيدًا عن تنبكت[٨٠].

وتشير المصادر إلى بعض الهجمات والتهديدات التي عانت منها مملكة صنغي على أيدي بعض السلطنات مثل سلطنة الموشي، فشن سني علي حربًا ضد جماعات الموشي عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، الذين كانوا يهاجمون مدينة تنبكت، ثم غزاهم مرة ثانية عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م وتعقبهم غربًا إلى أقصى حد[٨١]. كما وجه حملة في أواخر حكمه عام ٨٩٨هـ/١٤٩٢م ضد قبائل الدوجون Dogon والفولاني Fulani الذين كانوا يغيرون على تلال بانديا‌جارا Bandiagara على الحدود الجنوبية للمملكة[٨٢].

كما سجلت المصادر السودانية حالات للخروج عن طاعة مملكة صنغي في عهد الأسكيا محمد الذي قاد حملة بنفسه عام ٩٠٦هـ/١٥٠١م أخضع بمقتضاها إقليم آير لسلطانه، لاسيما أن هذا الإقليم كان يجنح نحو التمرد باستمرار[٨٣]. وفي عهد الأسكيا نفسه كانت مدينة كياك تتمتع بجيشٍ قوي، ووقع بين ملكها وبين تنيض ملك فوت خصومة وتشاجر، وحلف ملك كياك بأن يكسر تنيض ويحول بلاده إلى صحراء، وهو ما يشير إلى قدر الدمار الذي تنتج عن مثل هذه المشاحنات، واستغاث ملك كياك بكنفار عمر الذي خرج على رأس جيشه معظمه من أهل صنغي الذين اشتهروا بخبرتهم وتمرسهم في الحرب والقتال، وسار كرمن فار عمر بهذا الجيش لمسيرة تزيد على الشهرين من تندرمة إلى فوت، وهو أمر يدل على مدى صعوبة هذه الحروب وتكلفتها ومؤنها وإعدادها، وتمكن كرمن فار عمر من الظفر بتنيض وقتله، وغنم أموالاً كثيرة، وكان ذلك في عام ٩١٨هـ/١٥١٢م[٨٤].

ولم تثبت مملكة آير على طاعتها للأسكيا محمد الأول، فما لبث ملك هذه المملكة أن أعلن الخروج مجددًا عن التبعية لصنغي، وظل هذا الملك يخرج عن طاعة الأسكيا مرارًا، الأمر الذي دفع الأخير لقيادة حملة أخرى ضد آير سنة

٩٢١هـ/١٥١٥م نجحت في رد آير من جديد إلى التبعية لصنغي[٨٥]. والراجح أن أسكيا الحاج محمد بعد حملته الثانية على آير قام بعدة تعديلات حتى لا تخرج تلك السلطنة عند نطاق مملكته من جديد؛ حيث سمح لحاكم آير أن يتمتع بحكم شبه ذاتي وعدم التدخل في شئونه الداخلية مقابل أن يدفع ضرائب سنوية تم الاتفاق عليها[٨٦]. وقدرها الحسن الوزان عندما زار مدينة أقدز إحدى مدن إقليم آير بحوالي مائة وخمسين ألف دينار[٨٧].

ويعد الأسكيا موسى بن الأسكيا محمد من الخارجين على السلطة في مملكة صنغي، فقد أعلن عزل أبيه عن الحكم عام ٩٣٥هـ/١٥٢٩م؛ لذلك أرسل الأب كرمن فار يحيى بجزء من الجيش من تندرم إلى العاصمة جاو، لكي يمنع موسى من الإقدام على هذه الخطوة، ووقعت حرب بين القوات الموالية لأسكيا محمد بقيادة كرمن فار يحيى، وقوات ابنه الأسكيا موسى، انتصر فيها الأخير، وقتل كرمن فار يحيى، وأعلن موسى عزل أبيه من السلطة، وتولى هو حكم المملكة[٨٨].

وهكذا كان الأساكي لا يتهاونون مع الخارجين والمنافسين والطامعين في العرش من الأخوة والأمراء أو كبار القادة، فكانوا ينزلون بهم أشد أنواع العقاب، فقد تعامل الأسكيا موسى بكل عنف مع الخارجين عليه، فقد عارضه بعض إخوته ونازعوه في السلطة، وهرب الكثيرون من إخوته إلى تندرم عند أخيهم كرمن فارى عثمان يوباب Kurminfar Usman Ubab، ونتيجة لذلك هدد الأسكيا موسى أخيه عثمان بمحاربته إذا استمر في مساندة إخوته المتمردين على سلطانه، لكن عثمان لم يكترث بتهديد الأسكيا، فوقعت الحرب بين الطرفين عام ٩٣٦هـ/١٥٣٠م انتصر فيها الأسكيا موسى على معارضيه، وهو ما دفع إخوته وأقاربه إلى انتهاز هذه الفرصة للتخلص منه وقتله سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣١م[٨٩]، وكانت هذه بداية لسلسلة من الحروب والصراعات حول السلطة.

وقد كانت الطريقة التي وصل بها الأسكيا موسى إلى سدة الحكم بأن قام بعزل أبيه وسجنه، سببًا في كثرة معارضيه؛ فكان شغله الشاغل هو التخلص من أولئك

المعارضين فشهد عهده الكثير من أعمال القتل والتشريد والسجن لأعداد كبيرة من المعارضين، كما إن انشغاله بهذا الأمر طيلة فترة حكمه ٩٣٥ ــ ٩٣٧/ ١٥٢٩ ــ ١٥٣١م جعله لم يحقق أي إنجازات تحسب له[٩٠].

وفي عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م أرسل الأسكيا داوود (٩٥٦-٩٩٠هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م) سرية تتكون من أربعة وعشرين فارسًا بقيادة هيكي على داد HiKoi Ali Dad لجباية الضرائب من كاتسينا أو كشنة التي امتنعت عن دفع الضرائب، فحدثت مواجهة قتالية بين تلك السرية الصغيرة وقوات كاتسينا التي تمكنت من قتل خمسة عشر فارسًا من فرسان صنغي وتم أسر الباقين[٩١] ومنذ ذلك التاريخ لم تشن صنغي حملة واحدة ضد كاتسينا، وهو ما يعبر عن مدى الضعف الذي دب في أوصال صنغي في أواخر عهد الأساكي[٩٢].

كما جرد الأسكيا داوود حملة عسكرية في أواخر عهده عام ٩٩٠هـ/١٥٨٢م بقيادة ابنه، ونائبه في الإقليم الجنوبي الغربي فرن محمد بنكن Faran Mohammed Bunkan، ضد بعض محاربي الفولاني في ماسينا Massina في شمال غرب مملكة صنغي، لأنهم غامروا بمهاجمة ونهب القارب الملكي الذي كان يحمل بعض البضائع التي كانت قادمة من جني، واستطاعت هذه الحملة تحقيق النصر على أهل ماسنا، واضطر ملكها المدعو فندنك بوب مريم Findenk Bob Mariam إلى الهرب[٩٣].

ولم يتهاون الأسكيا إسحاق الثاني مع جيش مؤيدي أخيه بلمع محمد الصادق الذي خرج عن الطاعة لرغبته في الاستيلاء على العرش، حيث وجه الأسكيا فرقة خاصة من جيش المملكة استطاعت أسر بلمع صادق وقتله مع مجموعة من أتباعه ومؤيديه[٩٤]، كما نفذ أشد أنواع العقاب في حاكم مدينة هنبر Hambori الملقب بـ (هنبركي) Hambori Koi الذي تضامن مع بلمع صادق[٩٥].

كما واجه الملوك السودانيون اعتداءات بعض القبائل على حدود ممالكهم بكل حزم، فقد كانت وثنية الموشي، بالإضافة إلى اعتداءاتهم وهجماتهم المتكررة على المدن المستقرة على نهر النيجر، دافعًا لأن تقود مملكتي مالي وصنغي الحروب ضدهم[٩٦].

ثالثًا – الحرب والتخلص من بعض القبائل غير المرغوب فيها:

كما كانت الحرب سبيلاً للتخلص من بعض العناصر والقبائل غير المرغوب فيها، بدليل أن الأسكيا محمد الأول قاد غزوة ضد سلطنة برك أو بربو، وقتل فيها خلق كثيرون من قبائل آيبربند Iberbanda، فبكى عمر كمزاغ أخو الأسكيا محمد، وقال لأخيه " أفنيت سغي " أي عرضت أبنائها للهلاك، أجابه الأسكيا " بل عمرت سغي، هؤلاء القوم الذين رأيتهم أيطيب لنا العيش في سغي وهم معنا فيه ولا يمكن أن نفعل بهم هذا الفعل بأيدينا؛ ولذلك أتينا بهم في هذا الموضع ليتفانوا فيه وترتاح منهم لما عرفت منهم من عدم الفرار للموت "[٩٧]. ويدل هذا على أن الحرب كانت أسلوبًا للتخلص من بعض القبائل التي يرجح أنها كانت لا تخرج للقتال وتطيع أوامر الأسكيا بحسب ما يستشف من النص السابق.

وبهذا تنوعت الدوافع السياسية التي حركت الحروب في السودان الغربي، ومن هنا يرجح الباحث أن الحرب مثلت أهمية كبرى بالنسبة لمجتمع السودان الغربي حكامًا ومحكومين، فعلى الرغم من أثرها السلبي مثلت الحرب أساس قوة الممالك السودانية، وفي ظل تلك المعطيات كانت المملكة القوية الغازية تملك أفضلية عن تلك التي كانت تتعرض للغزو، وفي الوقت نفسه أصبحت الحرب ضرورية بالنسبة للممالك التي أُخضعت بالقوة، حيث أضحى تخلص تلك الممالك من تسلط مملكة أخرى عليها يمثل هدفًا مصيريًا لها، وهو الأمر الذي يعكس ذلك الثناء الذي أفاضه المؤرخون السودانيون على أولئك الحكام الذين خاضوا الحروب الكثيرة ونجحوا في تحقيق الكثير من الانتصارات، وأخضعوا الكثير من الممالك والقبائل لسيادتهم، كما اختص الحكام الذين نجحوا في تحرير ممالكهم من هيمنة ممالك أخرى بنفس درجة الثناء في المصادر السودانية، وهو أمر يعكس أهمية الحرب في نظر المجتمع السوداني تبعًا للظروف التي عاشها، ويعكس أيضًا أهمية الدوافع السياسية التي حركت ظاهرة الحرب في بلاد السودان الغربي.

هوامش الدراسة

(١) الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل ٢٠٠٦، ص ٥٤، ٥٥.

(2) John Cohen: War and Nations Human Nature, War and Society, Watts and Co LTD, London, 1946, P. 181.

(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر، ضبطه ووضع حواشيه الأستاذ خليل شحادة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص ١٥٩، ٣٣٤؛ غازي بن سالم: اقتصاديات الحرب في الإسلام دراسة فقهية اقتصادية معاصرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٠.

(٤) سليمان بن صالح بن سليمان كمال: الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري، رسالة دكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، الجزء الثاني، ص ٣٧٧.

(٥) جاستون بوتول: الحرب والمجتمع ... تحليل اجتماعي للحروب ونتائجها الاجتماعية والثقافية والنفسية، ترجمة عباس الشربيني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت ، ص ٤٣.

كان وجود مملكة قوية ذات جيش منظم، تبسط هيمنتها على مقاليد الأمور، وتلزم القبائل الخاضعة لها بتقديم فروض الولاء والطاعة، أمر له أهميته في بلاد السودان الغربي وإمارات الهوسا، ففي الوقت الذي كانت مملكة صنغي في أوج ازدهارها في القرنين التاسع والعاشر للهجرة/ الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، كان عدم وجود قوة كبرى مماثلة في بلاد الهوسا قد أدى إلى تنافس إمارات الهوسا والصراع فيما بينها من أجل الهيمنة وفرض النفوذ، ولاسيما الصراع بين إمارات كبي، وزامفارا، وجوبير، وبورنو، وكانت حدة هذه الصراعات تزيد أو تضعف بحسب ما تأنسه أي من هذه الإمارات من قوة في نفسها تهيئ لها الدخول مع الإمارات الأخرى في حروب، وبالتالي شهدت بلاد الهوسا حالة مستمرة من الحروب وعدم الاستقرار، انظر:

Abdullah Hakim Quick: Aspects of Islamic Social Intellectual History in Hausaland: Uthman ibn Fudi 1774-1804 C.E, PHD, University of Toronto, Canada, 1995, P. 29, Dierk Lange: From Mande to Songhay: Towards A Political and Ethnic History of Medieval Gao, the Journal of African History, Vol. 35, No.2, 1994, P. 293, Robert Cornevin: Histoire De l'Afrique, Tome II l'Afrique précoloniale, Payot, Paris, 1956, P. 224.

(٦) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢١٧-٢١٨.

(٧) تقع آير على بعد سبعمائة وخمسين كيلو متر إلى الشرق من مدينة جاو، انظر:

Thomas A. Hale: Scribe, Griot, and Novelist Narrative Interpreters of the Songhay Empire, University of Florida Press, USA, 1990, P. 80.

(٨) عبد القادر بن المصطفى مالم تفا: بعض أخبار هذه البلاد الحوسية والسودانية وطرف أخبار ملوكها وسلاطينها، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم ١٤١٥، ورقة ٢،١؛ أمن بن أحمد الأنصاري: تاريخ أهير، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم ٦٠، ورقة ٩، ١٠. وقد تكونت بلاد الهوسا من سبعة أقاليم: جوبير، وكانو، وكاتسينا، وزاريا، ودورا، وبيرام، ورانو، أوسطها كاتسينا، وأكبرها كانو، وأجدبها جوبير، انظر الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، الجزء الثاني، ص ١٧٠-١٧٤؛ محمد بلو: إنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلى، منشورات معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٦م ، ص ٤٤-٤٧.

(٩) عبد القادر بن المصطفى: مصدر سابق، ورقة ٢،١؛ أمن بن أحمد الأنصاري: مصدر سابق، ورقة ٩، ١٠.

(١٠) كانت مملكة الموشي تقع إلى الجنوب من مدينة تنبكت عند منعطف نهر النيجر، ورغم أنها لم تكن سوى مملكة صغيرة إلا أنها كانت منظمة بما يكفي، لدرجة جعلتها تتحدى قوة مملكة مالي، ثم مملكة صنغي، وخاضت ضدهما عدة حروب، كانت هي البادئة بالهجوم أحيانًا، مما يفسر جرأتها وقوتها الحربية، وفضلاً عن هذا كانت وثنية الموشي تؤرق ملوك مالي، وتدفعهم لخوض الحروب ضد هذه المملكة، انظر:

Alice Louise Willard: Rivers Of Gold, Oceans Of Sand: The Songhay In The West African World- System, PHD, The John Hopkins University, Mary Land, U.S.A, 1999, PP. 358-359.

(١١) السعيدي: ملوك السودان أهل سغي وقصصهم وأخبارهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، تحقيق هوداس وبنوا، مطبعة أنجي، باريس، ١٨٩٨، ص ٧.

Flora L. Shaw: A Tropical Dependency On Outline Of The Ancient History Of The Western Soudan With An Account Of The Modern Settlement Of Northern Nigeria, Printed By James Nisbet Co Limited, London, 1905, PP.122, 126.

(١٢) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص ٢٦٧؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٧، ٢٢.

Delafosse: Les Noires de l'Afrique, Paris, 1922, P. 59.

(13) Les Songhay, Presses Universitaires De France, Paris, 1954, P. 219.

(١٤) ابن خلدون: مصدر سابق، ج ٦، ص ٤١٤؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٧؛ محمد عبد العال: منسا موسى سلطان التكرور ورحلة حجه الشهيرة، نشرة غير دورية يصدرها معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٢.

(١٥) السعيدي: مصدر سابق، ص ٥- ٧؛ حسين مراد: مملكة صنغاي، مجلة قراءات أفريقية، العدد الثالث عشر، رجب – رمضان ١٤٣٣هـ/ يوليو- سبتمبر ٢٠١٢م، ص ١٦.

Vogel, Joseph O.; Vogel, Jean: Encyclopedia of Pre-colonial Africa: Archaeology, History, Languages, Cultures, and Environments, P. 492.

(16) Alice Louise Willard: Op. Cit, P. 369.

(١٧) بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٨، ص ١٥٩.

(18) Flora L. Shaw: Op. Cit, PP.122, 126.

(١٩) محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشره هوداس ودولافوس، مطبعة إنجي، باريس، ١٩١٣، ص ٦٥؛ إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٧٤، ٧٥؛ حسين مراد: دولة كانو الإسلامية تطورها السياسي والحضاري حتى نهاية القرن ٩هـ/١٥م، بحوث في الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧، ص ٦١.

(٢٠) السعيدي: مصدر سابق، ص ٩-١٠؛ محمد محمد أمين: علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك ١٢٥٠ – ١٥١٧م، مجلة الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، العدد الرابع، ١٩٧٥، ص ٢٧٥.

Usman Bujage: The Tradition Of Tajdid In Western Bilad Al-Sudan A Study Of The Genesis, Development And Patterns Of Islamic Revivalism In The Region 900- 1900 AD, PHD, Department Of Afro-Asian Studies, Institute Of African And Asian Studies, University Of Khartoum, Sudan 1991, P. 76.

(٢١) تاريخ الفتاش، ص ٣٢.

(٢٢) المصدر السابق والصفحة.

(٢٣) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص ٢٦٨.

(٢٤) السعيدي: مصدر سابق، ص ٥، ٨، ٩؛ بوفيل: مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٢٥) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص ٢٦٨.

(٢٦) بوفيل: مرجع سابق، ص ١٦٦.

(٢٧) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠١، ج٤، ص ٥٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٥،، ج ٥، ص ٢٩٧.

(٢٨) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧، المجلد الرابع، ص ٢٥٠.

(٢٩) العمري: مصدر سابق، ج٤، ص ٦٦.

(٣٠) ملوك السودان أهل سنغي، ص ١٠.

(٣١) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص ٢٦٨؛ أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩، ص ١٨٤.

(٣٢) المصدر السابق، ج٦، ص ٢٦٩.

(٣٣) المصدر السابق والجزء والصفحة، ٢٧٠؛ أحمد الشكري: مرجع سابق، ص ١٨٤.

(٣٤) السعيدي: مصدر سابق، ص ٣، ٤.

Levtzion, Nehmia: The Early States of the Western Sudan, in J.F. Ade Ajayi and Michael Crowder (Editors): The History of West Africa, Vol.1, Longman INC, New York, 1985,PP. 138-140.

(٣٥) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٤٢ – ٤٣.

(٣٦) المصدر السابق، ص ٤٣-٤٥؛ محمد محمد أمين: مرجع سابق، ص ٢٧٧.

Trimingham: The influence of Islam Upon Africa, Published by Longmans & Librairie du Liban, London & Beirut, 1968, P. 94.

(٣٧) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٤٥- ٤٦؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٧٠.

(٣٨) كعت: مصدر سابق، ص ٤٦- ٤٧.

(٣٩) المصدر السابق، ص ٤٨- ٤٩؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٦٤؛ مجهول: ذكر جني ونبذة من أخبارها، مخطوطة محفوظة بمعهد البحوث في العلوم الإنسانية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم ٢١٠٣٣، ورقة ٣.

(٤٠) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٤٤؛

Kaba, Lansine: The Pen, The Sword, And The Crown: Islam And Revolution In Songhay Reconsidered 1464- 1493, The Journal Of African History, Vol.25, No.3,(1984), p. 256.

(٤١) السعيدي: مصدر سابق، ص ٦٧، ٧١.

Basil Davidson: West Africa Before the Colonial Era: A history to 1850, Longman, 1998, PP. 55- 56.

(٤٢) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٤٥.

(٤٣) السعيدي: مصدر سابق، ص ٦٤.

(44) Flora L. Shaw: Op. Cit, P.152, 182.

(45) Thomas A. Hale: Op. Cit, P. 25.

(٤٦) السعيدي: مصدر سابق، ص ٧٢، ٧٤.

(٤٧) كعت: مصدر سابق، ص ٧٠؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٧٤، ٧٥.

Humphrey J. Fisher: Leo Africanus and the Songhay Concuest of Hausaland,

The International Journal of African Historical Studies, Vol.11, No.1, 1978, P. 87, Carter Godwin Woodson: African Heroes and Heroines, The Associated Publishers, Washington, 1944, P. 44.

(٤٨) كعت: مصدر سابق، ص ٧٠؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٧٥.

(٤٩) كعت: مصدر سابق، ص ٧١.

(٥٠) المصدر السابق والصفحة؛ السعيدي: مصدر سابق، ٧٦.

(٥١) كعت: مصدر سابق، ص ٧٥؛ السعيدي: مصدر سابق، ٧٦- ٧٧.

(٥٢) السعيدي: مصدر سابق، ٧٧.

(٥٣) كعت مصدر سابق، ص ٧٧.

(٥٤) السعيدي: مصدر سابق، ٧٨.

(٥٥) المصدر السابق والصفحة.

(٥٦) كان مجال مملكة الموشي يمتد من منطقة ياتنجا Yatenga جنوبي نهر النيجر حتى ساحل المحيط الأطلسي، انظر: محمود كعت: مصدر سابق، ص ٤٥، ٤٨؛ كرم الصاوي: الفن الحربي في السودان الغربي زمن دولتي مالي وصنغي ٦٣٦-١٠٠٠هـ/١٢٣٨-١٥٩١م، النشرة الخاصة المحكمة في الدراسات الأفريقية، العدد رقم ١٤٠، نوفمبر ٢٠٠٩، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ص ٢٢.

(57) Flora L. Shaw: Op. Cit, PP.191-192,See Also, Sean Kilpatrick: Animism, Syncretism, and Hardness: The Epic of Askia Mohammed, in: Christopher Wise (Editor): The Desert Shore Literatures of the Sahel, Lynne Rienner Publishers, USA, 2001, PP. 87- 88.

(٥٨) كعت: مصدر سابق، ص ٧٢- ٧٨؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٧٥- ٧٩؛ عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ١٤٩٣ – ١٥٩١م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧١، ص ٣٩.

(٥٩) السعيدي: مصدر سابق، ص ٨٦.

(٦٠) كعت: مصدر سابق، ص ٨٢- ٨٣؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٧٩- ٨٣.

(٦١) السعيدي: مصدر سابق، ص ٨٨- ٨٩.

(٦٢) كعت: مصدر سابق، ص ٨٢-٨٥.

(٦٣) تاريخ الفتاش، ص٨٦ - ٨٨.

(٦٤) ملوك السودان أهل سغي، ص ٩٤- ٩٥.

(٦٥) كعت: مصدر سابق ، ص٨٦ - ٨٨.

(٦٦) السعيدي: مصدر سابق، ص ٩٦، ٩٨.

(٦٧) تقع سلطنة كبي في الجنوب الشرقي لمملكة صنغي، وتعد من السلطنات السودانية التي

خضعت لسيادة صنغي إلا إنها تمتعت بحكم ذاتي، وقد دخل الإسلام إليها في وقت مبكر، وأول ملك من ملوكها حمل اسمًا إسلاميًا هو الملك الحادي عشر ويدعى السلطان محمد نمكاك. وكانت هذه السلطنة تضم العديد من البلدات من أهمها بلدة ليك عاصمة السلطنة ومركز إقامة السلطان، وبلدة صورافي وبلدة غنغ أقدم تلك البلدات، انظر: عبد القادر بن المصطفى: مصدر سابق، ورقة ٩؛ مجهول : أسماء أمراء كب، مخطوطة محفوظة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نيامي، النيجر ، تحت رقم ٦٩٨ ، ورقة١.

(٦٨) السعيدي: مصدر سابق، ص ١٠٢- ١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩.

Flora L. Shaw: Op. Cit, P.213.

(٦٩) السعيدي: مصدر سابق، ص ١١٠، ١١٢.

(٧٠) كعت: مصدر سابق، ص ١٠١، ١٠٢، ١٠٩، ١١٥-١١٦؛ السعيدي، ص ١٠٢- ١٠٣.

Hunwick John: Songhay Borno and the Hausa States 1450-1600, in: Ade Ajayi J.F and Michael Crowder (Editors): History of West Africa, Longman INC, New York, 1985, Vol.1, PP. 346-347, Alice Louise Willard: Op. Cit, P. 396, Bruce S. Hall: Mapping the River in Black and White: Trajectories of Race In the Niger Bend, Northern Mali, PHD, University of Illinois, 2005, P. 263.

(٧١) كعت: مصدر سابق، ص ١١٩.

(٧٢) المصدر السابق، ص ١٢٥-١٢٦، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٦، ١٥٤.

(73) Humphrey J. Fisher and Virginia Rousland: Firearms in the Central Sudan, The Journal of African History, Vol. 12, No. 2, 1971, P. 238.

(74) Alice Louise Willard: Op. Cit, P. 378.

(٧٥) السعيدي: مصدر سابق، ص ٨، ٩.

Humphrey J. Fisher: He Swallowed The Ground With fierceness and Rage: The Horse in The Central Sudan, II Its Introduction, The Journal of African History, vol. 13, No. 3, 1972, PP. 375 – 376.

(٧٦) كعت: مصدر سابق، ص ٤٠ – ٤١.

(٧٧) المصدر السابق، ص ٤٢ – ٤٣، ٧٠.

(٧٨) المصدر السابق، ص٤٨؛ السعيدى : مصدر سابق، ص٦٤-٦٥ ؛ أحمد بلعراف: إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، تحقيق الهادي المبروك الدالي، سلسلة: من التاريخ الثقافي المشترك لأفريقيا فيما وراء الصحراء وشمالها، بدون ناشر، ٢٠٠٠، ص٥٠.

(٧٩) كانت مدينة تنبكت تحت حكم الطوارق، وكان أكيل أكملول ذلك الأمير الذي كان ينتمي إلى الملثمين من مسوفة حاكمًا لها، ومنذ ذلك الوقت كان الطوارق حكام تنبكت وملوكها حتى عام ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، انظر الحسن الوزان: مصدر سابق، ج ٢، ص٥٣٩؛ السعيدي:

مصدر سابق، ص ٦٥.

(٨٠) السعيدي: مصدر سابق، ص ٦٤، ٦٥.

Basil Davidson: Op. Cit, P. 55.

(٨١) السعيدي: مصدر سابق، ص ٦٩، ٧٠.

(٨٢) المصدر السابق، ص ٦٧، ٧١.

Basil Davidson: Op. Cit, PP. 55- 56.

(٨٣) السعيدي: مصدر سابق، ص ٧٥.

(٨٤) كعت: مصدر سابق، ص ٤٠ – ٤١.

(٨٥) السعيدي، مصدر سابق، ص ٧٨؛ مجهول: سلطنة أهير، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم ٤٠، ورقة ٤.

(٨٦) السعيدي: مصدر سابق، ص ٧٨؛ محمد السنوسي العمراوي: نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي في عهد الأساكي ٨٩٨ – ١٠٠٠هـ/١٤٩٣- ١٥٩١م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١١، ص ١١٠.

(٨٧) الوزان: مصدر سابق، ص ٥٤٨؛ أمن بن أحمد الأنصاري: ذكر خبر قبور ومساجد أهل أهير في أكدز، مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية، جامعة نيامي، النيجر، تحت رقم ٥٩، ورقة .

(٨٨) كعت: مصدر سابق، ص ٧٨.

(٨٩) المصدر السابق، ص ٨١ – ٨٦.

(٩٠) السعيدي: مصدر سابق، ص ٨٦.

(٩١) الوزان: مصدر سابق، ج٢، ص ٥٥؛ كعت: مصدر سابق، ص ٧٧؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٧٨.

(٩٢) السعيدي: مصدر سابق، ص ١٠٣.

John Hunwick: Sharia in Songhay: the Replies of Al-Maghili to the Questions of Askia Al-Haajj Muhammad, The British Academy, Oxford University Press, 1985, P. 78.

(٩٣) السعيدي: مصدر سابق، ص ١١٣.

Flora L. Shaw: Op. Cit, P.214.

(٩٤) كعت: مصدر سابق، ص ١٣٥ – ١٣٨؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ١٢٧ – ١٢٨.

(٩٥) السعيدي: مصدر سابق، ص ١٢٩.

(٩٦) كعت: مصدر سابق، ص ٤٥، ٤٦؛ السعيدي: مصدر سابق، ص ٧، ٦٩-٧٠، ٧٢، ٧٤.

Alice Louise Willard: Op. Cit, P. 385.

(٩٧) السعيدي: مصدر سابق، ص ٧٦.